ذاكرة العرب

مجلة ربع سنوية - العدد الأول - يناير ٢٠١٩

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

SPecial Projects
إدارة المشروعات الخاصة

الفهرس

تقديم	٣
نخل العراق	٤
النقود العربية في العصر العباسي	١٦
سيدة الغناء العربي أم كلثوم في أبوظبي	٣٦
أغنية صنعاء	٥٠
ملف خاص	
– زينة الخيول الأشورية وسروجها	٥٢
– ركوب الخيل في العصر العباسي الأول	٦٠
– مضمار وسباق الخيول في سامراء	٦٤
– أدب الفروسية في العصر المملوكي	٧٤
– إسطبلات أمراء المماليك بالقاهرة والعناية بالخيل	٩٨
– الأفراس المؤسسة للمرابط المصرية	١٠٨
– العقيلات ووجودهم في مضامير الفروسية في مصر	١٢٤
– نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد	١٣٦
الحكاية الفلسطينية	١٤٠
تِطوان: المدينة الأندلسية في شمال المغرب بين الحاضر والماضي	١٤٢
سليل البوعبديل	١٤٨
البريد والطوابع في لبنان	١٥٦
ذاكرة العرب	١٦٤

المشرف العام
مُصْطَفى الفِقي
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس التحرير
خَالِد عَزَب

سكرتير التحرير
سُوزَان عَابِد

المراجعة والتصحيح اللغوي
فاطِمَة نَبيه
مُحَمَّد حَسَن

التصميم الجرافيكي والخطوط
الحَسَن عِصَام
خَالِد مُصْطَفى

الإسكندرية، يناير ٢٠١٩

سيدة الغناء العربي
أم كلثوم في أبوظبي

بقلم: محمد المر

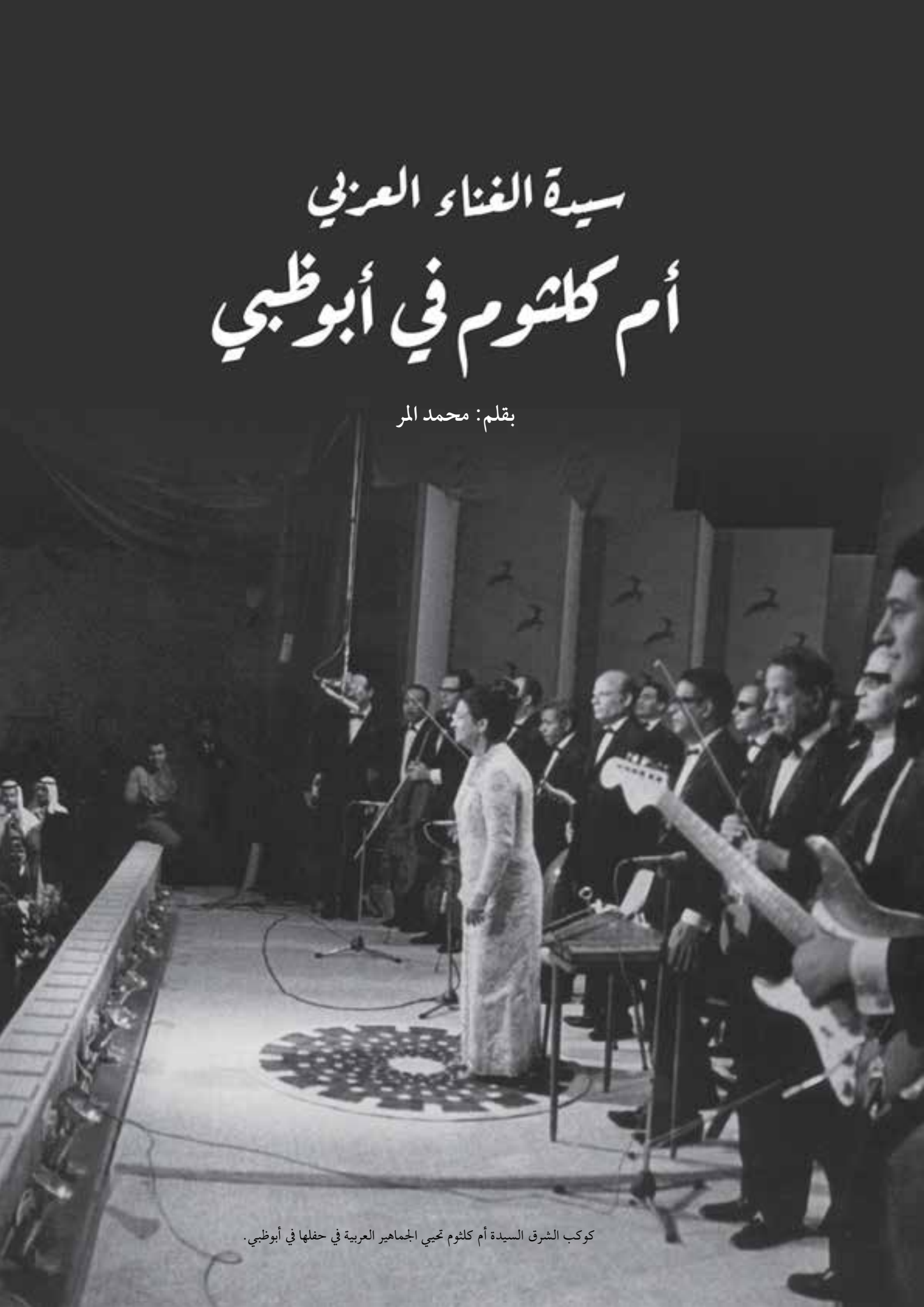

كوكب الشرق السيدة أم كلثوم تحيي الجماهير العربية في حفلها في أبوظبي.

في تراث الأمم أمثال تلخص حكمة الشعوب وتجاربها، ومن الأمثال العربية الشهيرة مثل يقول: «رُبَّ هِمَّة، أحيت أمة»؛ وهذا المثل المعروف ينطبق انطباقًا تامًّا على سيرة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان؛ هذا القائد المؤسس الذي استطاع بهمته العالية وحماسته الكبيرة ووطنيته المخلصة أن يبعث الحياة في أوصال شعب الإمارات، ويؤسس كيانه الوطني الحديث، ويجعله من أكثر شعوب العالم تقدمًا ونهضة وسعادة.

ولا شك أن مسيرة الشيخ زايد القيادية التي بدأت مبكرًا بإدارته الحكيمة لشئون منطقة العين، قد تواصلت بثبات وثقة بعد ذلك عندما تولى مقاليد الحكم في إمارة أبوظبي في السادس من أغسطس ١٩٦٦م؛ حيث أطلق في سنوات خمس مباركة نهضة تنموية كبيرة لا مثيل لها في تاريخ إمارة أبوظبي. وقد أدى توجهه الحضاري إلى استخدام مداخيل النفط في وقتها إلى كل ما من شأنه تعويض مواطني إمارة أبوظبي عن سنوات الضيق الاقتصادي، الذي استمر لعدة عقود بعد كساد تجارة اللؤلؤ وظروف الحرب العالمية الثانية.

كانت هِمَّة الشيخ زايد في تلك السنوات الخمس متجهة إلى بناء الأساسيات التي يحتاجُها المواطنون من بنية حضارية وحياتية متكاملة في مجالات التعليم، والصحة، والإسكان، والمواصلات، والنقل، والإدارة الحكومية الحديثة. واستعان في تلك المهمة التاريخية بأفضل الكفاءات الوطنية والعربية في مجال الإدارة والتخطيط والتنفيذ. واستطاع في فترة زمنية قياسية أن يخطو بإمارة أبوظبي خطوات واسعة في مجال البناء الحضاري والتنموي.

ومنذ أن تقلد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مقاليد الحكم في إمارة أبوظبي في ٦ أغسطس ١٩٦٦م، وطموحه يتطلع لأفق أوسع، ولعطاء أشمل، ولبناء أكبر، ليس في إمارة أبوظبي فحسب بل في كل الإمارات المجاورة. لذلك، فقد عمل على تمتين علاقاته التاريخية والسياسية مع كل حكام الإمارات، وساعد في مختلف مشاريع البنية التحتية في إماراتهم، وتوافقت إرادته الوطنية مع إرادة حكام وشعب الإمارات لبناء وحدوي يضم الجهود المتفرقة، ويجمع الإرادات المتبعثرة، وينشئ كيانًا واحدًا يضمن لهذه المنطقة الاستقلال والعزة والمنعة.

وكان ذلك قدرًا تاريخيًّا، خصوصًا مع تزايد أشواق أبناء الإمارات للاستقلال عن السيطرة البريطانية. وقد أعلنت بريطانيا رغبتها في إنهاء المعاهدات التعاقدية الجائرة بينها وبين الإمارات، والتي استمرت لأكثر من قرن ونصف من الزمان في ظروف تاريخية معروفة، فأعلنت الحكومة البريطانية عام ١٩٦٨م نيتها في الانسحاب من الخليج في موعد لا يتجاوز عام ١٩٧١م.

هذه التطورات السياسية الخطيرة، ومع ما يكتنفها من مخاطر سياسية واستراتيجية؛ زادت من عزيمة وإرادة الشيخ زايد في أن تتشكل في الإمارات دولة حديثة ذات كيان متماسك، تتغلب على ماضي الفرقة والتبعثر، فتزايدت وتيرة اجتماعاته مع حكام الإمارات ليناقش معهم تبعات الانسحاب البريطاني، وتكللت تلك الاجتماعات بتوقيع اتفاقيات الوحدة عام ١٩٦٨م. وتلا ذلك اجتماعات الاتحاد التساعي الذي شمل الإمارات السبع مع قطر والبحرين في الفترة من ١٩٦٨م إلى ١٩٧١م، وهي الاجتماعات التي لم يحالفها التوفيق فاستقلت البحرين وقطر. وفي ١٨ يوليو ١٩٧١م، كانت قيادة زايد بن سلطان آل نهيان التاريخية وراء الاجتماع الهام الذي ضم حكام الإمارات السبع للاتفاق على تأسيس الكيان الجديد؛ دولة الإمارات العربية المتحدة.

الاحتفالات بعيد الجلوس

في السنوات التي أعقبت تسلم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مقاليد حكم إمارة أبوظبي، كان يتم الاحتفال كل عام بعيد جلوسه الميمون، باستثناء عام ١٩٦٧م؛ حيث أمر سموه بإلغاء احتفالات عيد الجلوس في ذلك العام، تضامنًا مع الدول العربية التي تعرضت لعدوان ٥ يونية ١٩٦٧م. وتقيم أبوظبي في عيد الجلوس؛ تلك المناسبة الوطنية السارة، عروضًا عسكرية واحتفالات شعبية تتخللها الأهازيج والرقصات الشعبية، ويتبارى فيها الشعراء للاحتفاء بهذه المناسبة الوطنية السعيدة.

وكانت هذه المناسبة السنوية تشتمل على زيارات تهنئة أخوية من حكام الإمارات ومن وفود شعبية إماراتية؛ وفود تمثل القيادات الخليجية وقيادات مختلف الدول العربية والإسلامية. وكان الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ينتهز هذه المناسبة ليؤكد توجهاته النهضوية بإطلاق وافتتاح العديد من مشاريع البنية التحتية في إمارة أبوظبي؛ مثل الجسور والمصانع ومحطات الكهرباء والمطارات وغيرها من المشاريع الهامة.

ولقد كان عام ١٩٧١م عامًا مفصليًّا في تاريخ أبوظبي والإمارات؛ فقد بذل فيه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان جهدًا جبارًا لتكليل جهوده الاتحادية بالنجاح. والمطَّلع على يومياته في هذا العام يجدها حافلة بالزيارات الدبلوماسية لمختلف الدول العربية والعالمية مثل مصر والمغرب وباكستان وإيران وبريطانيا، كما يجد أن يومياته حافلة أيضًا بالنشاط السياسي الداخلي الذي تمثل في استقباله للعديد من الوفود الدبلوماسية من مختلف الدول الخليجية والعربية والعالمية، كما تمثل في اجتماعاته المتواصلة مع حكام الإمارات للإعداد للحدث الكبير الذي سيتكلل بإنشاء دولة الإمارات العربية المتحدة. وتزامن كل ذلك مع قيادته لدفة سفينة البناء الداخلي النهضوي في إمارة أبوظبي.

وبسبب ازدحام جدول الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان معظم عام ١٩٧١م بالنشاطات السياسية والدبلوماسية، فقد أُجلت احتفالات عيد الجلوس من السادس من أغسطس ١٩٧١م إلى الثامن والعشرين من نوفمبر ١٩٧١م. وقد شهد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في ذلك اليوم العرض العسكري بمناسبة الذكرى الخامسة لتوليه مقاليد الحكم في إمارة أبوظبي. واستقبل سموه بعد ذلك في قصر المنهل حكام الإمارات والوفود الرسمية من الدول العربية التي قدِمت لتهنئته بتلك المناسبة السعيدة، وكان في مقدمة المهنئين الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم؛ حاكم دبي، وحكام الإمارات.

ولقد كانت الاحتفالات بعيد جلوس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان عام ١٩٧١م استثنائية؛ لأنها حملت في مضامينها –

بالإضافة إلى الاحتفال بتقلده مهام حكم إمارة أبوظبي؛ تلك المناسبة التاريخية التي أطلقت نهضة وتقدم الإمارة – مضمونًا جديدًا تمثل في الاحتفال بقرب تحقق حلم الشيخ زايد التاريخي، ألا وهو ولادة دولة الإمارات العربية المتحدة. وتوافقًا مع توجهات النهضة الحديثة في إمارة أبوظبي، فقد اختير أن تكون الحفلات الفنية الساهرة التي ستصاحب الاحتفالات الشعبية على أعلى مستوى فني؛ بحيث تضم كوكبة مختارة من نجوم الموسيقى والغناء في الخليج والعالم العربي، وعلى رأسهم سيدة الغناء العربي أم كلثوم التي كانت في ذلك الوقت رمزًا للغناء العربي في أعلى تجلياته الموسيقية والإبداعية؛ حيث إنها كانت تتوِّج آنذاك مشوارًا حافلًا من الإنجازات الفنية التي بدأت منذ بداية القرن العشرين، نقلت فيه الغناء العربي إلى أرقى درجات التطور الفني، وتمثل ذلك في إجادة الغناء واختيار الكلمات السامية البليغة والألحان المتطورة الجميلة.

الإمارات والغناء العربي

عرف ومارس أبناء شعب الإمارات كغيرهم من شعوب العالم العديد من الألوان الموسيقية والغنائية، وكان ذلك انعكاسًا لحياتهم التي ارتبطت بالصحراء والبحر، ولمعيشتهم في البادية الفسيحة والمدن الساحلية. وكانت الألوان الموسيقية والغنائية متعددة ومن أهمها: الحداء والتغرودة والردحة والعيالة والونَّة والنهمة والمالد، وأغاني الأعراس المتنوعة التي تأثرت بالثقافات المجاورة؛ الآسيوية والإفريقية.

بدأ انفتاح أبناء الإمارات على الموسيقى والغناء العربي الحديث بشكل واسع منذ نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن العشرين، وذلك بعد شيوع اقتناء أجهزة المذياع وبخاصة الراديو الترانزستور النقال، وظهور وتعدد محطات الإذاعات العربية في مصر ولبنان وسوريا والعراق والمملكة السعودية والكويت وإذاعة بي بي سي العربية، وكلها كان يمكن التقاطها في مختلف مدن ومناطق الإمارات. كما افتتحت العديد من دور السينما التي كانت تعرض أفلامًا عربية غنائية شهيرة. فضلًا عن ذلك، فقد وردت إلى سوق الإمارات أجهزة الجرامافون وأجهزة التسجيل والأسطوانات الموسيقية التي حملت للمستمعين مختلف أنواع الأغنيات الخليجية والعربية. ونقلت الجرائد والمجلات المصرية واللبنانية القادمة لمكتبات الإمارات أخبار حياة ونتاجات مشاهير الغناء العربي.

ومن خلال تلك الإذاعات والأسطوانات والأفلام والمجلات، تعرَّف المستمع الإماراتي على أنواع متعددة من الغناء العربي، وتعرَّف كذلك على سير وأخبار نجوم ذلك الفن الموسيقي بأنواعه الشعبية والكلاسيكية الراقية، وتابع بشغف أخبار الفنانين البارزين في فن الغناء في الخليج والجزيرة العربية، وفي العراق والشام، وفي مصر التي كانت آنذاك هي الرائدة في مختلف مجالات الفن الموسيقي والغنائي. وفي مرحلة الستينيات من القرن العشرين قَدِم إلى الإمارات العديد من نجوم الغناء والطرب من الكويت والبحرين ولبنان ومصر، وقَدَّموا حفلات عامة أقيمت على مسارح دور السينما في مختلف مدن الإمارات.

وبسبب هذه الخلفية التاريخية، فإنه عندما حضرت سيدة الغناء العربي أم كلثوم إلى أبوظبي عام ١٩٧١م؛ كان المستمعون والمحبون لغنائها كثيرين، وكانت شعبيتها في الإمارات لا تقل عن شعبيتها في دول الخليج والجزيرة العربية وباقي الدول العربية. بل إن العديد من أبناء الإمارات من عشاق فن وغناء أم كلثوم كانوا يسافرون إلى القاهرة في عقد الستينيات لكي يستمتعوا بغنائها في حفلاتها الشهيرة على مسارح القاهرة كل ليلة جمعة، وبعض أولئك المعجبين تعرَّف على السيدة أم كلثوم وارتبط بعلاقة صداقة شخصية بها.

أم كلثوم في أبوظبي

كان قدوم الفنانة الكبيرة أم كلثوم إلى أبوظبي حدثًا موسيقيًّا وغنائيًّا استثنائيًّا. وتورد جريدة «الاتحاد» الإماراتية الرائدة في أعدادها التي صدرت في تلك المرحلة، متابعة تفصيلية دقيقة

لذلك الحدث الفني الهام، فتذكر الجريدة خلفيات زيارة أم كلثوم إلى أبوظبي، مشيرة إلى أنه في الزيارة الأخيرة لصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان إلى جمهورية مصر العربية - التي كان يرأسها آنذاك الرئيس محمد أنور السادات (إبريل ١٩٧١م) - أوفد سموُّه السيدَ مانع سعيد العتيبة؛ وزير البترول والصناعة، والأستاذ عبد المنعم الملَّواني؛ المستشار الصحافي لولي العهد صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان؛ إلى سيدة الغناء العربي أم كلثوم لزيارتها في منزلها والتباحث معها لإحياء حفل غنائي في أبوظبي بمناسبة الأعياد الوطنية، التي شملت عيد الجلوس الخامس لصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وبشائر وِلادة دولة الإمارات العربية المتحدة. وتضيف جريدة الاتحاد أن السيدة أم كلثوم كانت تشكو من وعكة ألمت بها في ذلك الوقت، واستقبلت أم كلثوم في فيلتها الوزير مانع العتيبة والصحافي عبد المنعم الملَّواني، اللذين قدَّما لها تحيات صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وناقشا معها موضوع زيارتها لأبوظبي وإحياء حفلات غنائية فيها. وقد رحبت أم كلثوم بالفكرة وأبلغت تحياتها وتقديرها للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وأكدت لهما أنه لولا وعكة البرد التي كانت تعاني منها لقامت بزيارة صاحب السمو في قصر القبة؛ مقر إقامته، الذي نزل فيه ضيفًا على الرئيس المصري أنور السادات.

وبعد عودة صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان إلى أبوظبي إثر زيارته الرسمية لجمهورية مصر العربية، أرسل سموه رسالة الدعوة الخاصة إلى السيدة أم كلثوم، وقد حملها الصحافي عبد المنعم الملَّواني؛ المستشار الصحافي لولي العهد صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان. وكان نص الدعوة يشمل تقديرًا كبيرًا لفنانة عربية راقية ساهمت في النهضة العربية الفنية والحضارية، وفنانة وطنية غنت لآمال وآلام بلادها وأمتها، وكان ذلك واضحًا في جهودها لإحياء حفلات غناء في مختلف دول العالم، والتي يعود ريعها لدعم المجهود الحربي المصري بعد العدوان الإسرائيلي في الخامس من يونية ١٩٦٧م، وجاء نص الدعوة كالتالي:

«حضرة السيدة الفاضلة كوكب الشرق أم كلثوم المحترمة، بعد التحية، إنه لمن دواعي سرورنا دعوة سيدة الغناء العربي الأولى لزيارة أبوظبي للاطلاع على معالمها عن كثب، ومشاهدة ما حققته من إنجازات في فترة وجيزة. كما أنه سيكون مبعث فرح وسرور لنا أن نمتع الأذن بسماع الصوت الشجي والنغم الجميل، آملين أن يتاح لكم الوقت بالقيام بهذه الزيارة، وذلك بمناسبة العيد الوطني لبلادنا، متمنين لكم موفور الصحة، سائلين الله أن يوفقكم ويرعاكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

زايد بن سلطان؛ حاكم أبوظبي».

وتذكر جريدة الاتحاد أن السيدة أم كلثوم أعلنت بعد قبولها الدعوة الكريمة أنها ستبدأ موسمها الغنائي الشتوي لهذا العام في أبوظبي، تحية منها لصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.

التجهيزات الفنية للحفل

كانت احتفالات عيد الجلوس الخامس لصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مميزة من نواح عدة: تاريخية، ووطنية، وفنية، لعل أهمها هو مشاركة السيدة أم كلثوم في إحياء حفلين فيها. لذلك، فإنه فور قبول أم كلثوم الدعوة تشكلت في أبوظبي لجنة للاحتفالات تضم كلًّا من السيد مانع العتيبة؛ وزير البترول، والشيخ فيصل القاسمي؛ وكيل وزارة الدفاع، والأستاذ عبد الله النعيمي؛ وكيل وزارة الإعلام والسياحة، والصحافي عبد المنعم الملَّواني؛ المستشار الصحافي لصاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد؛ ولي عهد أبوظبي. وتذكر جريدة الاتحاد أن وزارة الدفاع أشرفت على الحفل المميز لسفيرة الغناء العربي الذي كان بمثابة هدية من الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان إلى والده الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بمناسبة عيد جلوسه الخامس.

ولما كانت المسارح الموجودة في مدينة أبوظبي آنذاك هي مسارح دور سينما، وأكبر قاعة سينما آنذاك كانت لا تتسع لأكثر من عدة مئات من المشاهدين، ولأن عشاق أم كلثوم بالآلاف؛ فقد صدرت الأوامر لكي تقوم وزارة الدفاع بالتنسيق مع باقي الوزارات والدوائر لبناء مسرح مؤقت على أرض النادي الأهلي، الذي أصبح فيما بعد نادي الوحدة. وفي فترة قياسية لا تتعدى الثلاثة أسابيع، أقيم ذلك المسرح الذي أُعد لتكون طاقته الاستيعابية أربعة آلاف كرسي. ويذكر الإعلامي خليل عيلبوني بجريدة الاتحاد أن المسرح أعد وجُهز بما يلزم من معدات خاصة بالصوت والنقل الإذاعي والتليفزيوني. وقد وقع على عيلبوني الاختيار ليكون مذيع النقل الخارجي لإذاعة أبوظبي، مما دفعه للبحث والدراسة في الأرشيف الفني لسيرة أم كلثوم وإنجازاتها الموسيقية والغنائية؛ لكي يستطيع تقديمها بالأسلوب الإذاعي المهني اللائق.

وتذكر جريدة «الأهرام» المصرية في عدد ١ ديسمبر ١٩٧١م أن «القوات المسلحة في أبوظبي قدَّمت محولًا كهربائيًّا ضخمًا سعة ٧٥٠ كيلو وات؛ لكي يعمل على الفور في حالة انقطاع التيار الكهربائي عن المسرح الذي ستغني عليه أم كلثوم؛ نتيجة الضغط الذي تتحمله محطة الكهرباء بعد أن تحولت أبوظبي إلى مدينة من النور في ليلة عيد الجلوس الخامس للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان».

زيارة أبوظبي

امتد المشوار الفني للمطربة الكبيرة أم كلثوم فترة زمنية طويلة حافلة بالعطاء الفني الثري. وفي ذلك المشوار، أحيت العديد من الحفلات الغنائية خارج القطر المصري لجمهورها العربي الكبير. وقد انقسمت تلك الحفلات إلى مرحلتين؛ انطلقت المرحلة الأولى عام ١٩٢٨م من فلسطين أيام الانتداب البريطاني. وقد كانت تلك الحفلات من النوع الفني الجماهيري الذي كان ينظمه أحد المتعهدين الفنيين؛ حيث يقوم بدعوة أم كلثوم وفرقتها الموسيقية، ويشرف على الأمور اللوجستية مثل الاستقبال والإقامة والمسرح والتغطية الإعلامية وغيرها. وقد غنت أم كلثوم في تلك المرحلة في العديد من بلدان العالم العربي مثل فلسطين والعراق وسوريا ولبنان.

أما المرحلة الثانية فكانت بعد عدوان إسرائيل على مصر والأردن وسوريا في الخامس من يونية ١٩٦٧م؛ حيث قامت أم كلثوم بإحياء العديد من الحفلات الغنائية في مختلف بلدان العالم، وكان يذهب ريعها لدعم المجهود الحربي المصري. وفي ذلك السياق التاريخي، زارت أم كلثوم فرنسا والسودان والكويت وليبيا وتونس والمغرب والإمارات.

ولما كانت هذه الزيارات والحفلات تمثل جهدًا وطنيًّا خالصًا من أم كلثوم لدعم بلادها ماديًّا ومعنويًّا، فإن الدولة المصرية كانت تهتم بتقديم كافة الخدمات اللوجستية والإعلامية لها. وكان يرافقها في تلك الزيارات وفد إعلامي وصحافي رفيع. وكانت تلك الحفلات تحصل على تغطية إعلامية كبيرة من مختلف قطاعات الإعلام المصري من صحافة وإذاعة وتلفاز. وقد كانت حفلة أم كلثوم في أبوظبي هي الأخيرة في سلسلة تلك الحفلات الغنائية الوطنية المشرِّفة.

وتذكر جريدة الاتحاد أن صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان وجَّه الدعوة بمناسبة احتفالات عيد الجلوس إلى عدد من الشخصيات العربية الكبيرة من باقي الإمارات، ومن قطر والبحرين والكويت، وباقي الدول العربية؛ لحضور الحفل الغنائي الأول الذي ستشدو فيه سيدة الغناء العربي أم كلثوم بآخر إبداعاتها الغنائية.

وقد رأت اللجنة العليا المنظِّمة لاحتفالات عيد الجلوس أن يكون الحفل الغنائي الثاني مفتوحًا للجمهور، على أن يذهب دخله لدعم المجهود الحربي المصري. وقد حُددت أسعار الحفل على النحو التالي: ١٥ دينارًا، و١٠ دنانير، و٥ دنانير. وكانت التذاكر تُباع في سينما «إل دورادو» في مدينة أبوظبي. وفي الأسبوع الذي سبق الحفل، استمر الاتصال بدار السينما المذكورة من كافة الإمارات والعراق والكويت وباقي دول الخليج العربي.

رحلة أم كلثوم

كان يوم الجمعة الموافق للسادس والعشرين من نوفمبر ١٩٧١م، هو اليوم المقرَّر لمغادرة أم كلثوم القاهرة متجهة إلى أبوظبي؛ حيث كان من المفترض أن تغادر في الثامنة من صباح ذلك اليوم – هي والوفد المرافق لها – مطار القاهرة الدولي على متن طائرة خاصة للخطوط الجوية الكويتية متجهة إلى أبوظبي. ولكن الضباب الكثيف في مطار القاهرة حال دون تمكن الطائرة من الهبوط حسبما كان مقررًا، واضطرها للهبوط في الأقصر. وقد أمضت السيدة أم كلثوم أربع ساعات من الانتظار في مطار القاهرة حتى وصلت الطائرة. فاستقلت أم كلثوم وفرقتها الطائرة التي أخذتها إلى أبوظبي في ثلاث ساعات، وهبطت في مطار أبوظبي في الساعة الخامسة وعشر دقائق مساءً.

وكان يرافق أم كلثوم وفد كبير ينقسم إلى ثلاث مجموعات؛ المجموعة الأولى هي أقرباء السيدة أم كلثوم: محمد الدسوقي إبراهيم، وهو ابن شقيقتها ومدير أعمالها والمرافق الشخصي لها في معظم زياراتها وتنقلاتها داخل وخارج مصر، وشقيقه رفعت الدسوقي إبراهيم، وبُثينة محمد السيد؛ حفيدة خالد إبراهيم؛ شقيق أم كلثوم.

والمجموعة الثانية هي فرقة أم كلثوم الموسيقية. ولقد عملت أم كلثوم في العقود المتتالية من مسيرتها الفنية على أن تستقطب أفضل الكفاءات الموسيقية المصرية في مجال العزف على مختلف الآلات الموسيقية في التخت الشرقي التقليدي، وفي مجال العزف على الآلات الموسيقية الغربية التي أضافها شباب الملحنين عندما لحنوا أغاني أم كلثوم الجديدة. وقد جاء معها إلى أبوظبي لفيف من أولئك العازفين المبدعين ليرافقوها في حفلتيها التاريخيتين، وبلغ عددهم اثنين وأربعين عازفًا، وكان من أبرزهم:

- عازف الكمان أحمد الحفناوي، وكان أشهر عازف كمان في مصر، وفضلًا عن براعته في العزف فقد خلَّف العديد من القطع الموسيقية من تأليفه. وبدأ تعاونه مع أم كلثوم عام ١٩٣٧م عندما كوَّنت فرقتها الموسيقية الخاصة.
- عازف الكمان عبد المنعم الحريري، وكان عازفًا ممتازًا لآلة الكمان، وعمل في التدريس الموسيقي، ولحن عدة أغانٍ للعديد من كبار المطربين والمطربات.
- عازف الكمان محمود إبراهيم القصبجي، وهو من العازفين المميزين في فرقة أم كلثوم، وهو ابن أخت محمد القصبجي؛ الموسيقار المعروف وعازف العود الشهير في فرقة أم كلثوم.
- عازف التشيلو حسان كمال المنوفي، وكان من أمهر عازفي آلة التشيلو في العالم العربي، وبرع في عزف الإيقاعات الشرقية المنغمة.
- عازف الكونترباص عباس حلمي فؤاد، وكان عازفًا مميزًا، وقد أطرى مهارته الفنية الموسيقار محمد عبد الوهاب.
- عازف الأكورديون فاروق سلامة، وقد بدأ مشواره في فرقة أم كلثوم مع أغنيتها الشهيرة «سيرة الحب»، وقد أبدع في العزف بعد ذلك في العديد من أغانيها الذائعة الصيت.
- عازف الإيقاع حسين معوض، وقد كان عاشقًا للموسيقى، وترك تخصصه في مجال المحاماة والعمل القانوني، وتخصص وأبدع في العزف على آلة الرِّق بسبب حبه الكبير لفن أم كلثوم.
- عازف الجيتار عمر خورشيد، وكان ملحنًا وعازفًا موسيقيًّا وممثلًا معروفًا، واشتُهر بالمهارة في العزف على آلة الجيتار؛ حيث اشترك في عزف أغنيات كبار الفنانات والفنانين العرب، وعلى رأسهم السيدة أم كلثوم، فضلًا عن عبد الحليم حافظ، وفيروز، وصباح.

أما المجموعة الثالثة التي رافقت السيدة أم كلثوم في رحلتها إلى أبوظبي فهي الوفد الإعلامي الذي ضم لفيفًا من أبرز الكفاءات والشخصيات الإعلامية الصحافية والإذاعية، وكان من بينهم:

- مدير إذاعة صوت العرب سعد زغلول نصار، وقد كان من أبرز الكفاءات الإذاعية المصرية، الذي كان – بالإضافة إلى عمله في الإذاعة المصرية – شاعرًا، وكاتبًا في مجال الدراما الإذاعية والتليفزيونية والمسرحية، ونشط في مجال الترجمة لروائع الأدب العالمي، وقد نال وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٧٤م.
- الإذاعية القديرة سامية صادق، وقد عملت في الإذاعة المصرية منذ عام ١٩٥٠م، وقدمت العديد من البرامج الإذاعية الناجحة، وانتقلت بعد ذلك إلى التليفزيون المصري، وعملت رئيسًا له، وكانت لها العديد من المساهمات الاجتماعية البارزة.
- الكاتبة الصحافية سكينة فؤاد التي ساهمت بمقالاتها في العديد من المنابر الصحافية المصرية الهامة مثل جريدتي الأهرام والوفد، ولها العديد من الأعمال الروائية والأدبية الشهيرة.
- الإذاعي والإعلامي سعيد عمارة، وهو من الكفاءات الإذاعية المصرية المميزة، وعمل مديرًا لإذاعة الشارقة؛ حيث جعلها من المحطات الإذاعية المميزة في دولة الإمارات العربية المتحدة.
- وقد ضم الوفد الإعلامي – فضلًا عن الكفاءات الإذاعية – العديد من الشخصيات الصحافية العاملة في أهم الجرائد والمجلات المصرية؛ مثل الأهرام والأخبار والجمهورية ومجلات دار الهلال.

الاستقبال في أبوظبي

عندما حطَّت طائرة الخطوط الجوية الكويتية في مطار أبوظبي في السادس والعشرين من نوفمبر ١٩٧١م، كان في استقبال سيدة الغناء العربي أم كلثوم العديد من الشخصيات الإماراتية الهامة، وعلى رأسهم وزير البترول الدكتور والشاعر مانع العتيبة، والأستاذ سعيد الدرمكي؛ مدير دائرة التشريفات في أبوظبي، والأستاذ علي الشرفا؛ نائب مدير دائرة التشريفات. وقد فُتحت قاعة الشرف بمطار أبوظبي لأم كلثوم تكريمًا لها ولدورها الفني الريادي. ومن المطار، انتقلت أم كلثوم والوفد المرافق لها إلى مقر إقامتها في فندق «العين بالاس».

وبعد وصول أم كلثوم إلى أبوظبي، وجهت رسالة شكر نُشرت بعد ذلك في جريدة الاتحاد ساردة فيها عواطفها وانفعالاتها بالحفاوة التي استُقبلت بها في مطار أبوظبي:

«بسم الله الرحمن الرحيم. يسعدني أن أوجه هذه التحية على صفحات جريدة الاتحاد إلى عظمة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان؛ حاكم أبوظبي، وشعبه الكريم. وأشكركم على الحفاوة التي قوبلت بها منذ اللحظة الأولى التي وصلت فيها إلى هذه الأرض العربية الغالية. ويزيد من سعادتي أنني قد جئت إلى أبوظبي في مناسبة عيد جلوس صاحب العظمة الشيخ زايد، والاستعداد للإعلان عن قيام دولة اتحاد الإمارات، التي سوف تضيف إلى الأمة العربية رصيدًا جديدًا من القوة والدعم. ونسأل الله القدير أن يحقق لنا العزة والنصر.

أم كلثوم».

الحفل الأول

كان يوم الثامن والعشرين من نوفمبر ١٩٧١م يومًا حافلًا لقائد المسيرة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان؛ ففي صباح ذلك اليوم غادر سموه قصره متجهًا إلى منصة احتفالات عيد الجلوس. وفي التاسعة والنصف وصل إلى المنصة حيث عزفت الموسيقى السلام الأميري. وبدأ العرض العسكري الذي كان أضخم عرض عسكري تشهده أبوظبي ضم وحدات رمزية من القوات البحرية والبرية والجوية بأسلحتها الحديثة والمتطورة، فضلًا عن قوات رمزية من الشرطة والأمن العام. كما شارك طلبة وطالبات مدارس أبوظبي في عرض رياضي مميز. وفي نهاية العرض، مرت عربات الزهور التي أعدتها الوزارات والمؤسسات والشركات.

وكانت لولي العهد الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان كلمة بمناسبة عيد الجلوس، رحَّب فيها بضيوف أبوظبي، وتحدث عن الإنجازات الكبيرة التي تحققت في السنوات الخمس الماضية، وعن دعم

السيدة أم كلثوم تطل من ستار المسرح، باسمة في تحية وتقدير للجماهير المحتشدة لسماع أغانيها.

أبوظبي للقضايا القومية العربية، وهنأ شعب الإمارات بقيام الاتحاد الذي ذكر أنه سيُعلن في الثاني من ديسمبر ١٩٧١م.

وكان العرض العسكري إيذانًا ببداية الاحتفالات الرسمية والشعبية بمناسبة عيد الجلوس الخامس، والتي تعددت ألوانها وأنواعها ومشاركاتها وأماكن عرضها. وعند الظهر، استقبل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الوفود الرسمية والشعبية التي قَدِمت لتهنئته في قصر المنهل، وأقام لهم مأدبة غداء كبرى. وبعد الظهر، شهد سموه جانبًا من الاحتفالات الشعبية وسباق الهجن العربية الأصيلة.

وفي مساء ذلك اليوم، كان الجميع بانتظار الحفل الغنائي والموسيقي الساهر الذي ستحييه سيدة الغناء العربي أم كلثوم، والذي سيحضره الشيخ زايد مع العديد من الشيوخ والوزراء وضيوف أبوظبي والمواطنين. وقد كتب الوزير والأديب راشد عبد الله النعيمي في جريدة الاتحاد مقالة عن تلك المناسبة قال فيها: «اليوم تشدو في سماء الخليج العربي لأول مرة سيدة الغناء وكوكب الشرق أم كلثوم، واليوم تسمع الأمة العربية سفيرة الغناء وهي تشدو على مسرح وزارة الدفاع في أبوظبي، صوت أم كلثوم من هنا وعبر إذاعتنا وإذاعات القاهرة في الوقت نفسه. وما كانت سفيرة الغناء لتقف بيننا تشدو لولا أنها مناسبة رائعة لرجل عظيم. وما كانت أم كلثوم تأتي ومعها هذه الوفود لولا النهضة الكبيرة التي شيدها صاحب السمو حاكم البلاد. ولقد كان المواطنون في جميع أنحاء الأمة العربية ومن بينهم ضيفة أبوظبي الكبيرة يعرفون أن هذه الأرض التي جار عليها الزمن وظلمها فعاشت في الظل والنسيان فترات طويلة من التاريخ بينما دول العالم تتقدم حتى وصلت القمر، وجاء زايد ليضع أبوظبي بالعمل والعرق والجهد المتواصل بين دول العالم المتحضرة، فتحية للرجل في عيد جلوسه الخامس، ومرحبًا وأهلًا بسفيرة الغناء العربي أم كلثوم».

كان حفل سيدة الغناء العربي أم كلثوم في أبوظبي في ليلة الثامن والعشرين من نوفمبر ١٩٧١م، حفلًا استثنائيًّا بكل المقاييس، فهو حفل غنائي عربي يمثل قمة الإبداع الموسيقي والغنائي العربي، وكيف لا يكون كذلك ونجمته هي أبرز مطربة عربية، وكلمات أغنياتها كتبها أفضل شعراء الأغنية العربية، وألحانها أبدعتها مخيلة أفضل المواهب الموسيقية العربية، والفرقة الموسيقية التي ترافقها تضم أفضل العازفين المصريين. ولندع جريدة الاتحاد التي تابع وشهد محررها ذلك الحدث الفني والغنائي الجميل ينقل لنا باختصار أجواء تلك الأمسية البديعة:

«أول أمس، وفي الوقت الذي كان الآلاف يهرعون فيه إلى مسرح وزارة الدفاع في أبوظبي؛ كانت الملايين في الخليج والجزيرة العربية وكل أنحاء الوطن العربي يسرعون إلى أجهزة الراديو في بيوتهم وسياراتهم ويديرون مؤشراتها على موجة أبوظبي. لقد كان موعد الجميع مع سيدة الغناء العربي أم كلثوم. وقد ازدحمت قاعة مسرح وزارة الدفاع بالآلاف، طاقة المسرح ثلاثة آلاف مقعد، ولكن الذين احتشدوا بداخله كانوا حوالي أربعة آلاف. حول

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مصفقًا ومستمتعًا بغناء كوكب الشرق في أبوظبي.

المسرح كانت ألوف أخرى تحتشد وتكتفي بالوقوف قرب المكان الذي ستغني فيه أم كلثوم. واضطر رجال الأمن إلى إغلاق الأبواب في التاسعة والنصف. وفي العاشرة إلا الربع، وصل إلى المسرح ركب حاكم البلاد بين تصفيق الجماهير وهتافاتهم، وصحب عظمةَ الحاكم سموُّ الشيخ خليفة بن زايد؛ ولي العهد. وفي العاشرة تمامًا، ارتفع الستار عن كوكب الشرق، وكانت ترتدي فستانًا بلونه الكريمي وتمسك في يدها بمنديل أصفر اللون».

امتلأ مسرح وزارة الدفاع بالجمهور الذي توافد لحضور أمسية الفن الغنائي الراقي، وكان على رأسهم الشيخ زايد وولي عهده وشيوخ آل نهيان، والشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، والشيخ حميد بن راشد النعيمي، والعديد من شيوخ الإمارات وشخصياتها الهامة وضيوف أبوظبي الكبار، ومنهم الشيخ بدر محمد الأحمد الصباح من الكويت، ووزير التربية العراقي أحمد عبد الستار الجواري، وغيرهم من كبار الشخصيات الخليجية والعربية.

استُقبلت أم كلثوم عند إطلالتها بتصفيق معجبيها المرحِّب بها، وقد ردت التحية بفنها الجميل في بداية تلك الحفلة بأغنية «أغدًا ألقاك» من قصيدة للشاعر السوداني الهادي آدم، وألحان الموسيقار محمد عبد الوهاب. وكانت أم كلثوم قد زارت السودان عام ١٩٦٨م لإحياء حفلة غنائية لمصلحة المجهود الحربي العربي بعد معركة ١٩٦٧م. وقد استقبلت هناك استقبالًا رسميًّا وشعبيًّا رائعين، فقررت أن تغني لأحد شعراء السودان الكبار بعد أن اطلعت على دواوينهم الشعرية واختارت قصيدة «الغد» الرومانسية التي تحولت إلى «أغدًا ألقاك»، واستغرق الموسيقار محمد عبد الوهاب في تلحينها عامًا كاملًا، وغنتها لأول مرة بمسرح سينما قصر النيل عام ١٩٧١م. وقد استقبل النقاد والجمهور أغنية «أغدًا ألقاك» بكلماتها العذبة وموسيقاها المبتكرة استقبالًا حماسيًّا. وكعادة روائع أم كلثوم الأخيرة؛ أصبحت تلك الأغنية من أكثر الأغنيات التي تطلب الجماهير سماعها. وقد كان استقبال الجمهور في أبوظبي لغناء أم كلثوم لأغنية «أغدًا ألقاك» لا يقل عن حماسة الجمهور في مصر وباقي الدول العربية؛ حيث استعادوا مقاطعها الجميلة وقاطعوها بالتصفيق والتشجيع الذي يدل على استمتاعهم بفن غنائي وموسيقي من الطراز الأول. وأثناء الاستراحة، استقبلت أم كلثوم العديد من كبار الزوار، فحيَّتهم بلطفها وحفاوتها المعهودة، وتبادلت معهم الأحاديث الودية.

وفي القسم الثاني من الحفل، غنت أم كلثوم أغنية «الحب كله»، وهي من كلمات الشاعر الغنائي أحمد شفيق كامل الذي سبق أن غنت أم كلثوم من أشعاره مجموعة من أروع أغنياتها: «أنت عمري» (١٩٦٤م)، و«أمل حياتي» (١٩٦٥م).

وكانت الأغنية من تلحين الموسيقار بليغ حمدي، وهو من الملحنين الشباب الذين اهتمت أم كلثوم بإبداعاتهم الموسيقية الجديدة لكي تواكب ركب الحداثة الموسيقية. وكانت قد غنت له مجموعة من الألحان المميزة في أغنياتها الذائعة الصيت مثل: «ألف ليلة وليلة» (١٩٦٩م)، و«فات الميعاد» (١٩٦٧م)، و«بعيد عنك» (١٩٦٥م)، و«سيرة الحب» (١٩٦٤م)، و«حب إيه» (١٩٦٠م).

وانتهت الحفلة بعد نهاية أغنية «الحب كله» بعد أن شنَّف الجمهور أسماعهم بغناء أم كلثوم الذي تردد في جنبات مسرح الاحتفالات بعيد الجلوس الخامس، وكانت تلك الليلة كما وصفتها جريدة الاتحاد: «من ليالي العمر في أبوظبي والإمارات والخليج».

لقاء مع القائد

في الثلاثين من نوفمبر ١٩٧١م، كان لقاء سفيرة الغناء العربي أم كلثوم مع القيادة التاريخية لدولة الإمارات العربية المتحدة. وكان ذلك اللقاء التاريخي المميز في صباح شتائي مشرق بروح البهجة والأمل لقيادة وشعب الإمارات الذين كانوا بانتظار تحقق حلمهم التاريخي الذي طالما انتظروه؛ حلم الوطن الواحد والشعب الواحد، والنهضة المنتظرة والمستقبل الزاهر. جاءت أم كلثوم إلى الإمارات في توقيت تاريخي كانت فيه إمارة أبوظبي تحتفل بالذكرى الخامسة لعيد جلوس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان؛ ذكرى تسلم قيادة تاريخية لمقاليد حكم وطني رشيد حقق لأبناء الإمارة كل آمالهم في التنمية والتقدم. وكانت الإمارات تنتظر على أحر من الجمر الاستقلال الوطني وإنهاء معاهدات النفوذ والسيطرة الاستعمارية مع الحكومة البريطانية، وولادة دولتهم الحديثة؛ دولة الإمارات العربية المتحدة.

في ذلك الوقت التاريخي الهام والسعيد، زارت أم كلثوم الإمارات، وجاءت إلى أبوظبي؛ مركز الحدث الوطني الكبير، وحضرت في صباح الثلاثين من نوفمبر ١٩٧١م إلى قصر «المنهل» للسلام على الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان. وكان في استقبالها عند وصولها إلى قصر المنهل الوزير والشاعر الدكتور مانع سعيد العتيبة، وكان برفقتها ابن شقيقتها محمد الدّسوقي إبراهيم، والصحافي عبد المنعم الملَّواني؛ المستشار الصحافي لولي العهد الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان.

استقبل الشيخ زايد السيدة أم كلثوم في ديوانه في قصر المنهل، وتبادل معها الأحاديث الودية. والشيخ زايد في تقديره للفنانة العربية الكبيرة أم كلثوم كان يُكبر فيها نبوغها في الفنون الغنائية والموسيقية. وهو القائد الذي عُرف عنه اهتماماته بالثقافة بمختلف تجلياتها من أدب وشعر وتراث غنائي وموسيقي. وكان يقدِّر فيها إبداعها كامرأة عصامية شقَّت طريقها في عالم الموسيقى والغناء

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان يكرم أم كلثوم.

العربي؛ حيث ارتقت به وحصلت على حب الشعوب وتقدير القادة والملوك والرؤساء العرب. والمعروف عن الشيخ زايد اهتمامه المبكر بنهضة المرأة في الإمارات؛ حيث وجّه بتوفير التعليم الأفضل لها، وبإتاحة الفرص أمامها لأخذ مكانها في مجال العمل وتنمية المجتمع في مختلف قطاعاته.

ولندع عبلة النّويس؛ الصحافية ورئيسة تحرير مجلة «زهرة الخليج»، بعد ذلك تصف لنا أجواء تلك الزيارة؛ حيث كتبت في جريدة الاتحاد بتاريخ ١ ديسمبر ١٩٧١م تقول: «استقبل عظمة الشيخ زايد ابن سلطان؛ حاكم البلاد، أمس كوكب الشرق السيدة أم كلثوم التي كانت قد وصلت إلى البلاد بدعوة خاصة من عظمته. وقد قدَّمت سيدة الغناء العربي إلى حاكم البلاد تهنئتها الخالصة بمناسبة عيد جلوسه، كما أعربت عن تقديرها للنهضة الكبرى التي تشهدها أبوظبي في عهده الزاهر. وكانت سيدة الغناء قد شاهدت عددًا من الصقور في القصر، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تشاهد فيها هذا المنظر، وعندما ذكرت ذلك لحاكم البلاد أخذ عظمته يحدثها عن الصيد بالصقور كهواية عربية أصيلة وكيفية تدريب الصقر على عملية الصيد». وتضيف الصحافية عبلة النّويس في تحقيقها عن لقاء أم كلثوم مع الشيخة فاطمة بنت مبارك؛ قرينة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان: «... ثم صحب حاكم البلاد المفدَّى ضيفته الكريمة إلى داخل القصر؛ حيث التقت بالسيدة الجليلة قرينة عظمته، وحيث دار الحديث عن المرأة الظبيانية وتطورها والتقاليد العربية وتشابهها. واستغرقت زيارة أم كلثوم لقصر المنهل ساعتين».

وفي أثناء زيارة أم كلثوم لأبوظبي تَمثَّل تقدير القيادة لها بمأدبة عشاء كبرى أقامتها الشيخة فاطمة بنت مبارك تكريمًا لأم كلثوم واحتفاءً بدورها الريادي في نهضة فن الموسيقى العربية. وذكرت جريدة الاتحاد أن ذلك الحفل التكريمي حضرته مجموعة كبيرة من سيدات أبوظبي والدول العربية الشقيقة.

وبعد أن انتهت أم كلثوم من زيارة الشيخ زايد، قامت بزيارة معالم مدينة أبوظبي ومن بينها كورنيش أبوظبي الجميل الذي ذكَّرتها نَسَمَاته المنعشة بكورنيش الإسكندرية؛ عروس البحر الأبيض المتوسط. وقد تجمَّع خلال تلك الجولة العديد من المواطنين والوافدين لتحية مطربتهم المفضلة أم كلثوم. وأخذت كوكب الشرق تتبادل معهم الأحاديث في موضوعات مختلفة. وعند الظهر، عادت سيدة الغناء إلى فندق «العين بالاس» الذي تنزل في أحد أجنحته لتكمل استعداداتها لحفلها القادم.

الحفل الثاني

في الحفل الثاني في ليلة الثلاثين من نوفمبر ١٩٧١م، ارتدت أم كلثوم ثوبًا غامقًا، وتحلت بعقد من اللولؤ الخليجي أهداه لها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان. وقد خُصص دَخْل ذلك الحفل لدعم المجهود الحربي المصري. وقد حضرته جموع غفيرة من المواطنين والوافدين العرب والزوار من مختلف الدول العربية الذين جاءوا ليسمعوا أسطورة الغناء العربي في القرن العشرين.

وقد غنت في تلك الحفلة أغنية «ودارت الأيام» التي غنتها للمرة الأولى على المسرح عام ١٩٧٠م، وهي من كلمات الشاعر الغنائي مأمون الشّنّاوي الذي تعاونت معه أم كلثوم في العديد من أغنياتها الناجحة مثل: «بعيد عنك» (١٩٦٥م)، و«كل ليلة وكل يوم» (١٩٦٤م)، و«أنساك» (١٩٦٢م). وقد لحن الأغنية الموسيقار محمد عبد الوهاب الذي لم يلحن لأم كلثوم رغم معاصرته لها إلا بعد أن طلب منه ذلك الرئيس المصري جمال عبد الناصر. وكان أول تعاون بينهما في أغنية «أنت عمري» عام ١٩٦٤م، وقد أطلق على ذلك التعاون الأول اسم «لقاء السحاب». وغنت بعد ذلك العديد من ألحانه الجميلة والمبدعة في أغنياتها المختلفة ومنها: «أمل حياتي» (١٩٦٥م)، و«أنت الحب» (١٩٦٥م)، و«فكروني» (١٩٦٦م)، و«هذه ليلتي» (١٩٦٨م).

وفي الجزء الثاني من الحفل الثاني، شَدَتْ أم كلثوم بأغنية «القلب يعشق كل جميل»، وكانت قد غنتها في العام نفسه ١٩٧١م، وهي من كلمات الشاعر الشعبي بيرم التونسي، الذي غنت أم كلثوم العديد من قصائده الجميلة مثل: «هوَّ صحيح الهوى غلاب» (١٩٦٠م)، و«الحب كده» (١٩٥٩م)، و«شمس الأصيل» (١٩٥٨م)، و«حلم» (١٩٤٦م)، و«ظلموني الناس» (١٩٤٦م)، و«الأمل» (١٩٤٦م)، و«حبيبي يسعد أوقاته» (١٩٤٣م)، و«آه من لقاك» (١٩٤٣م)، و«أنا في انتظارك» (١٩٤٣م). ولقد نقلت العديد من الصحف والمجلات في الإمارات وباقي الدول، الأجواء الاحتفالية لحفلي أم كلثوم في أبوظبي، ومدى تقدير وسرور جمهورها بتلك الإطلالة الفنية والحضارية الجميلة والرائعة. وتنقل لنا مجلة «درع الوطن» التي تُصدِرها وزارة الدفاع بعضًا من ذلك التقدير الذي حملته مختلف الشخصيات الرسمية والصحافية لزيارة أم كلثوم، فيقول سمو الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان لمجلة درع الوطن: «كانت لفتة رائعة من وزارة الدفاع أن تدعو قمة الغناء أم كلثوم لتحيي احتفالات الشعب بقيادة زايد». وقال رئيس المجلس الوطني الاستشاري في أبوظبي الشيخ سلطان بن سرور الظاهري: «لقد أشجتنا كوكب الشرق وزادت أفراحنا فرحة». وحيَّا رجلُ الأعمال الإماراتي عبد العزيز بن ربيع ولي العهد الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، حيث قال: «تحية لسمو وزير الدفاع، فقد استطعنا بفضله أن نحقق ثلاثة مكاسب في وقت واحد: نحتفل بزايد، ونتبرع للمجهود الحربي، ونشاهد

أم كلثوم». وقال الصّحافي العربي عبد الله الشيتي: «تحقق الاستقلال وارتفع علم الاتحاد، وغنت أم كلثوم ولا يسعنا إلا أن نحني الرءوس إجلالًا».

ختام الزيارة

تميز ختام زيارة أم كلثوم لأبوظبي بحدث هام وتوديع حار؛ أما الحدث الهام فهو أن سيدة الغناء بعد نهاية حفلتها في الثلاثين من نوفمبر، بقيت في ضيافة القيادة في أبوظبي لتشهد اليوم التاريخي والحدث السعيد، الذي تمثل في إعلان دولة الإمارات العربية المتحدة في الثاني من ديسمبر ١٩٧٢م، وهذه جريدة الاتحاد توثق هذه المناسبة الوطنية السعيدة والغالية فتقول: «بعد إعلان قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، توجَّه صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد؛ ولي العهد، إلى ساحة قصر المنهل العامر، وأمر برفع العلم، ورفع سمو ولي العهد يده بالتحية لعلم الاتحاد الذي يرفرف على البلاد لأول مرة، وكانت لحظة تاريخية رائعة. وقد شهدت سيدة الغناء العربي أم كلثوم مراسم رفع العلم الاتحادي، وقدَّمت بعد ذلك التهنئة إلى سمو الشيخ خليفة وقالت لسموه: عقبال علم الوحدة العربية الكبرى».

أما التوديع الحار فكان بعد ذلك في مطار أبوظبي؛ حيث قام بتوديع أم كلثوم وزيرُ الخارجية معالي أحمد خليفة السويدي مع جمع من المسئولين والمواطنين والوافدين الذين تمنوا لسيدة الغناء العربي رحلة سعيدة تُقلُّها إلى أرض الكنانة.

وبذلك، انتهت زيارة أم كلثوم التاريخية لأبوظبي، وستبقى تلك الزيارة من أهم آخر محطات زيارات أم كلثوم الفنية؛ إذ كانت آخر زيارة خارجية لها، وحصلت فيها على التقدير الرسمي المميز والإعجاب الشعبي الكبير. وبعد سنة تقريبًا، توقفت أم كلثوم عن حفلات الغناء، وتوعكت صحتها، وتوفيت في ٣ فبراير ١٩٧٥م. وقد ودعتها إلى مثواها الأخير جماهير غفيرة من أبناء وبنات الشعب المصري ناهز عددها الثلاثة ملايين.

وقد اهتزَّت مشاعر كل العرب من الخليج إلى المحيط، وقالت جريدة «التايمز»: «إن أم كلثوم تعد من رموز الوجدان العربي الخالدة».

أم كلثوم كانت وستبقى أسطورة غنائية وموسيقية بارزة، توَّجت إطلالاتها الفنية الخارجية بزيارتها عام ١٩٧١م لأبوظبي؛ عاصمة الإمارات العربية المتحدة؛ الإمارات التي أحبت وقدَّرت فن وإبداع أم كلثوم. ولسنوات عديدة ظلت مختلف إذاعات الإمارات تبث لجمهورها أغاني أم كلثوم بشكل يومي لتزيل أتراحهم وتغسل أرواحهم، وتمتع نفوسهم، وتذكِّرهم بتلك المبدعة العربية الكبيرة.

السيدة أم كلثوم وهي تتجول برفقة الوفد الإماراتي في مدينة أبوظبي، في جولة لمعالم المدينة.

السيدة أم كلثوم وترحيب حار من الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.

السيدة أم كلثوم على خشبة المسرح بأبوظبي.

ويحمل القفص والجمالة والفيس والدبالة انها لضعت على بالة فتضاعت تقش مدرجها

وتشد مدرجها كلما دانيتي قرنت بالرقعة درهما وقطعة وقلت لها ان رغبت في المشوف المعلم

واشرت الى الدرهم فوجي بالسر المدهم وان ابيت ان تشرحي فخذي القطعة وابيرحي

قالت الي استملاض البدر التم والأبلج الهمر وقالت دع جدالك وبيل عما بدالك فاسطعا

طلع الشيخ وبلدته والشعر وناتج بردته فقالت ان الشيخ من أهل بزوج وهو الذي وشى